عناية الإسلام بنشر الأخلاق الحسنة

The Importance Islamic attaches to preaching Good Morals

Dr. Ibrahim Mian Jan
Assistant professor, Department of Arabic & Islamic Studies
Women University Swabi
Emai: abuismil@gmail.com
Dr. Irshad ul Hassan Ibrar
Assistant professor, Department of Islamic Studies
University of Lahore
Emai: Irshad.ibrar@ais.uol.edu.pk

Abstract
There are five aspects of Islam which are beliefs, worships, dealings, punishment and compensation and moral. It means that morals are the fifth big portion of Islam. Islam has always focused on all the aforementioned aspects very strictly. The morals also come in the category of three hundred and sixty behaviors of Islam. All the three hundred and sixty behaviors of Islam revolve around the very aspect i.e. moral, which is very prominent in the personality of the Holy Prophet Muhammad (ﷺ) And the Holy Quran has given very first place (to Morals) in the list of other behaviors. Therefore Allah Almighty has declared in the Holy Quran: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) and you are of a great moral character. And thus Muhammad (ﷺ) is the role model for all of his followers. Likewise, Islam has given a big importance to that moral should be acquired by each follower and should be preached to the unknowing people to be practice upon. This note discusses the very issue in a research way to make the researcher know about the importance given by this great religion to it. This article contain on a preface, three main point topics and a conclusion at the end. The preface includes the definition of good manners. The first part deals with the ethics and morals in the Holy Quran. The second part elaborates the importance of ethics in the Sunnah of the messenger of Allah i.e. Muhammad (ﷺ), while the third portion explains the ethics according to the pious predecessors. The conclusion consists of the most important findings we get through this research. This note will open new areas of researches for the students and will enhance their thirst for seeking out the solution.
Keywords: Islam, Morals, Importance, Quran, Sunnah, Pious Predecessors

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.[1].

ثم أما بعد: فقد رغب الإسلام بالتحلي بمكارم الأخلاق، وترك مساوئها، لما لذلك من آثار حسنة حميدة على الفرد والمجتمع، فالمجتمع إذا حسنت أخلاقه شاع فيه الوئام والتراحم، وسادت الألفة والمودة، وذلك أن الامتزاج بمكارم الأخلاق يجبي إلى صاحبه عرفان ما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات؛ فلا يخل حينئذ بواجب، ولا يدعي إلا بحق، وذلك يدعو بالضرورة إلى شدة الارتباط، وكمال الالتئام الذي يجعل أفراد الأمة عضوا واحدا للتعاون على البر والتقوى، والتعاضد على الأعمال التي تنتج لهم التقلب في عيشه راضية، وتحفظ لأعقابهم مستقبلا حسنا، حيث قال صلى الله عليه وسلم:« إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار».[2].

والأخلاق في الإسلام شاملة لجميع الشؤون ونواحي الحياة، ومتكاملة العناصر، لا يطغى فيها جانب على آخر، فالإسلام هذب علاقة الفرد مع نفسه، ومع مجتمعه، والأهم من ذلك علاقته بربه.

والأخلاق الإسلامية قائمة على الإقناع العقلي والوجداني معاً، وفيها الرقابة الذاتية للتطبيق، ومستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهي بذلك صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

والأخلاق في الإسلام على ضربين: غريزي فطري جبلي، لقوله صلى الله عليه وسلم للأشج، أشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم، والأناة»[3].

واكتسابي يأتي بالدربة، والممارسة، والرياضة، والمجاهدة، لقول الله تعالى:﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ**﴾ [الأعلى:14] وقول الله تعالى:﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** ﴾[الشمس:9] ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه»[4].

كما أننا نرى أناسا يتصفون بالشره، والنزق، وسوء الخلق، فإذا ما راض الواحد منهم نفسه، وساسها، وجاهدها، وأخذ بالأسباب المعينة على محاسن الأخلاق . تبدلت طباعه، وحسنت أخلاقه.

وخير دليل على ذلك ما كان من أمر الصحابة رضي الله عنهم قبل البعثة، فلقد كانوا يتصفون بالشدة، والقسوة، والغلظة.

فلما دخلوا في الإسلام، وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم رقت طباعهم، وحسنت أخلاقهم.

بل إنهم أصبحوا مثالا يحتذى، ونهجا يقتفى، في الإيثار، والسماحة، والكرم، والحلم، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق.[5]

ولهذا جاءت في الشريعة الإسلامية نصوص كثيرة تحث على التحلي بمكارم الأخلاق، ونشرها في المجتمع، والتخلي عن مساوئها، كقول الله تعالى:﴿ **خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ**﴾ [الأعراف:199] ففي هذه الآية جمع سبحانه وتعالى مكارم الأخلاق، وأمر بالأخذ بها، والتحلي بما ورد فيها، والتخلي عما سواها.[6].

وقوله صلى الله عليه وسلم:«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»[7]

وقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقا»[8].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق»[9]

ورغب صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الناس بالخلق الحسن حيث قال: «وخالق الناس بخلق حسن» [10]

ولما لحسن الخلق من هذا الفضل العظيم في الإسلام، والأثر البالغ في اصلاح الفرد والمجتمع، ونشر الوئام والألفة والمودة والسعادة في العالم أجمع، أحببت أن أكتب بحثا مختصرا بعنوان "عناية الإسلام بنشر الأخلاق الحسنة " أسأل الله تعالى أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، كما أسأله التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تعريف حسن الخلق:

الحسن في اللغة ضد القبح ونقيضه، والحسن نعت لما حسن، والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ [11].

والخُلق، والخَلْق: في اللغة الطبيعة والسجية، وتجمع على أخلاق. [12].

وعرف الجرجاني[13] الخلق بأنه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا)[14].

وذهب الجاحظ[15] إلى أن الخلق هو: (حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلّا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة) [16].

ولقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق بأجمل الأوصاف وأكملها، حيث قال « البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك — وفي رواية نفسك – وكرهت أن يطلع عليه الناس»[17].

فحسن الخلق اسم جامع لكل أنواع البر، فكلما حسنت أخلاق المرء ارتقى في درجات البر، قال الفيروزآبادي رحمه الله تعالى: "واعلم أن الدين كلّه خلُق، فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الدّين"[18]

وقيل في تعريف حسن الخلق هو: بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى. [19]

وقال القاضي عياض[20] رحمه الله: (حسن الخلق مخالقة الناس بالجميل، والبشر والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم، والحلم عنهم والصبر عليهم في والمكاره وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة والغضب والمؤاخذة)[21].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية [22]رحمه الله: "وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام، والإكرام، والدعاء له، والاستغفار، والثناء عليه، والزيارة له.

وتعطي من حرمك من التعليم، والمنفعة، والمال، وتعفو عمن ظلمك في دم، أو مال، أو عرض."[23].

فحُسن الخُلق إذاً: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، هذا مع ما يلازم المسلم من كلام حسن، ومدارة للغضب، واحتمال الأذى.

والإسلام قد رغب بالتحلي بالأخلاق الحسنة الحميدة، وترك مساوئها، بأساليب متنوعة، وعبارات تأسر القلوب والألباب، يتبين ذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة، وما أثر عن سلف الأمة الصالح رضوان الله عليهم، وذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول : الأخلاق في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، وهو دستور الأمة الإسلامية وعزها وشرفها، ومنه يستمدون جميع المعارف والفضائل والمكارم.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد بكل وضوح العناية بنشر بالأخلاق الحسنة الفاضلة، وترك ما سواها، لكي يزكوا المجتمع الاسلامي ويتطبع على مكارم الأخلاق والفضائل، ولهذا الهدف النبيل بعث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[24]

وقال الله تعالى عن بعثة نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ**﴾البقرة:١٥١،قال ابن السعدي رحمه الله في معنى: **وَيُزَكِّيكُمۡ** أي: "يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة"[25].

وقد حث القرآن الكريم على اكتساب الأخلاق الحسنة، وذكر أصولها الجامعة، كما حذر من الاتصاف بسيئ الأخلاق، وبيان ذلك على النحو التالي:

أولا: الأمر الصريح بالتحلي بالأخلاق الحسنة الحميدة: كالمسارعة إلى فعل الخير، والتزام القول الحسن مع الناس، والعفو، والصفح، والصبر.

قال الله تعالى في المسارعة إلى فعل الخير: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**﴾الحج: ٧٧ وقال الله تعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾البقرة195.

وقال الله تعالى في التزام القول الحسن مع الناس: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّا مُّبِينا**﴾الإسراء: ٥٣. وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَة كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيم**﴾ [فُصِّلَت:34]

وقال الله تعالى في العفو، والصفح:﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:199]

الأعراف: ١٩٩. وقال تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيمٌ﴾ [النور:22]وقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[المائدة:13]وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحِجر:85] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران:134]

قال ابن القيم رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:199] قد جمع الله له مكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية [(26)].

وذلك أن للمطاع مع الناس ثلاثة أحوال.

أحدها: أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

الثاني: أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

الثالث: أن الناس معه قسمان: موافق له موال، ومعاد له معارض وعليه في كل واحد من هذه واجب.

فواجبه في أمرهم ونهيهم: أن يأمر بالمعروف. وهو المعروف الذي به صلاحهم وصلاح شأنهم. وينهاهم عن ضده.

وواجبه فيما يبذلونه له من الطاعة: أن يأخذ منهم ما سهل عليهم، وطوعت له به أنفسهم، سماحة واختيارا. ولا يحملهم على العنت والمشقة فيفسدهم.

وواجبه عند جهل الجاهلين عليه: الإعراض عنهم. وعدم مقابلتهم بالمثل والانتقام منهم لنفسه.[(27)]

وقال الله تعالى في الصبر:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ البقرة: ١٥٥ – ١٥٧. وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[الشورى:43] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[الزُّمَر:10]

ثانيا: ذكر الأخلاق الحسنة الحميدة في معرض بيان أحوال الكمّل من خلقه، وهم الرسل – عليهم السلام–قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُول مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم**﴾[التوبة:128] وقال تعالى:﴿**وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [الأنبياء:85] وقال تعالى:﴿**وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدّيقا نَّبِيًّا**﴾[مريم:41]

ثالثا: جعل الأخلاق الحسنة الحميدة من صفات المؤمنين، ومن ثمرات الطاعات؛ كما قال الله تعالى:- ﴿**قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ المؤمنون: ١ – ٣. وقال الله تعالى: ﴿**ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[العنكبوت:45]. وقال تعالى: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم}**[التوبة:103] وقال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰما**﴾[الفرقان:63]. فالاتصاف بالأخلاق الحسنة الحميدة في التعامل مع الناس نهج الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وهي دأب أهل العلم والصلاح .

رابعا: النهي الصريح عن مساوئ الأخلاق قال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآء مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّاب رَّحِيم**﴾الحجرات: ١١ – ١٢

وقال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال:27]وقال تعالى:﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[النحل:90]

خامسا: الوعيد لمن اتصف ببعض الأخلاق الذميمة كالافتراء، وإشاعة الأخبار الكاذبة.

قال الله تعالى في الافتراء: ﴿**وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰل وَهَٰذَا حَرَام لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾[النحل:116]

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيم**﴾[النور:23]

وقال الله تعالى في إشاعة الأخبار الكاذبة: ﴿**وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**﴾[الأعراف:86] وقال تعالى في الإرجاف: ﴿**لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا**﴾ الأحزاب.

سادسا: جعل الأخلاق السيئة من صفات الكفار والمنافقين قال الله تعالى:﴿**إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ**﴾[النحل:105]

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا**﴾[النساء:142]

المبحث الثاني: الأخلاق في السنة النبوية

خير البرية، وأزكى البشرية، وأعلاها رتبة، وأجلها قدرا، وأحسنها خلقا وأكرمها على الله تبارك وتعالى هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جبله ربه على حميد الخلال، وفطره على كريم الخصال، ثم أدبه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فكان خلقه القرآن، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند ما سئلت عن خلقه[28].

وقال الله تعالى تزكية لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم**﴾[القلم:4] وقد بين النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الأخلاق الحسنة الحميدة غاية بيان، وحث الأمة على التحلي بها والتخلي عن مساوئها، لما لذلك من آثار حسنة على المجتمعات، وفيما يلي بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك:

أولا: قوله صلى الله عليه وسلم في جواب من سأله عن البر والإثم:« البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك — وفي رواية نفسك – وكرهت أن يطلع عليه الناس»[29].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». [30]

وقال صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «على كل هين، لين، قريب، سهل». [31]

وقوله صلى الله عليه وسلم :« إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[32].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء» [33]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء فحشه»[34]

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة وصف دقيق لحسن الخلق، وتعريف عام شامل بالخلق الحسن والقبيح، فكل ما كان من البر والخير والمعروف وما كان من قول وفعل يسر صاحبه اذا نشر عنه بين الناس، وما كان سببا لنشر الألفة والمحبة بين الناس فهو من الخلق الحسن، وما كان من الشر والفحش والدناءة والثرثرة وايذاء الناس بالقول والفعل، وسببا لنشر الكراهية والبغضاء بين الناس فهو من الأخلاق السيئة القبيحة.

يقول النووي رحمه الله[35]: قال العلماء رحمهم الله تعالى: البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى الصدق وبمعنى اللطف، والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق.[36]

ويقول ابن القيم رحمه الله[37]: فقابل البر بالإثم. وأخبر: أن البر حسن الخلق. والإثم: حواز الصدور. وهذا يدل على أن حسن الخلق: هو الدين كله. وهو حقائق الإيمان، وشرائع الإسلام. ولهذا قابله بالإثم.[38]

ثانياً: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» [39].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»[40].

وقوله صلى الله عليه وسلم:« اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[41]

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإيمان أفضل؟ فقال: «حسن الخلق» [42].

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة حث الرسول صلى الله عليه وسلم على التحلي بالأخلاق الحسنة الحميدة وربط ذلك بتكميل الإيمان وتحسينه، فكلما حسن خلق المرء زاد إيمانه وحسُن، والعكس صحيح.

فمن حسنت أخلاقهم كانوا أصدق الناس إيماناً وأخلصهم نية، وأكثرهم التزاماً بما يجب عليهم من الحقوق والواجبات، لأن الإيمان اذا وقر في القلب صدقه الأعمال الظاهرة.

فالأخلاقية الإسلامية منبعها الإيمان، لأن التحلي بها يكون طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ووفاء بالعهود وأداء للواجبات والحقوق، وليس من باب التصنع.

لأن المرء قد يتصنع مكارم الأخلاق فترة معينة، ومع بعض الناس، أما أن يتصنع ذلك في كل الأوقات، ومع من يكون له عليه سلطة، وله معه معاشرة دائمة، فمما يستحيل وقوعه.

ثالثاً: قوله صلى الله عليه وسلم: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء» (43)

وقوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «أحسنهم خلقا» (44)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»(45).

وقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة والنار، فقال: « أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس النار: الفم والفرج»(46).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»(47)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»(48).

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن أثقل الفضائل في ميزان المؤمن يوم القيامة الخلق الحسن، وإنه ليبلغ بها درجة الصائم القائم، وذلك أن الخلق الحسن مظهر من مظاهر الإيمان الذي هو أثقل الفضائل عند الله تعالى، لأن صدق إيمانه وسلامة يقينه وإخلاص نيته، يثمر الخلق الحسن، ويحث على ترك الخلق السيئ، يؤيده قوله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه»(49)

وأن حسن الخلق من أحب الأعمال إلى الله، ومن أكثر ما يدخل الناس الجنة، بل ويتبوأ بها صاحبه الدرجة الرفيعة العالية في الجنة.

وفي كون الفم والفرج أكثر ما يدخل الناس النار إشارة إلى بعض الأخلاق السيئة، إذ جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم في مقابل التقوى وحسن الخلق.

والمراد بهما ما يعمل الإنسان بهما من أعمال محرمة، فالفم يصدر عنه الكفر بالله، والكذب، وشهادة الزور، والغيبة، والنميمة، والطعن، والتعبير والتنقيص، واللمز، والتنابز بالألقاب، والدعوة إلى الباطل، ونشر الباطل، والحكم بغير الحق، وغير ذلك من أمور كثيرة، تنافي التقوى ومكارم الأخلاق.

والفرج يصدر عنه أعمال محرمة أخرى تنافي التقوى ومكارم الأخلاق.

رابعاً: ولما كان حسن الخلق بهذه المنزلة العلية الرفيعة، كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، فكان هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة. طلق الوجه بساما، متواضعا من غير ذلة، جوادا من غير سرف، رقيق القلب رحيما بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم. (50)

قال أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا».(51).

وقال: «ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين. فما قال لي قط: أف. ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟» (52).

وأثنى الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن العظيم دون سائر الصفات، فقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:4].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(53)

المبحث الثالث: الأخلاق عند سلف الأمة الصالح

إن حسن الخلق من شعائر أهل الإسلام، وهو من أجل الصفات التي وهبها الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:4].وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، عائشة –رضي الله عنها– لمن سألها عنه، فقالت: «كان خلقه القرآن»(54) وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿**خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ**﴾[الأعراف:199]وقوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ**﴾[آل عمران:159]وقوله تعالى:﴿**لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ**﴾[التوبة:128] وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل

خصلة منها، في الذروة العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلا لينا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم"[55]

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى[56] في قول عائشة رضي الله تعالى عنها: «كان خلقه القرآن»:"يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه"[57]

وقد اقتدى السلف الصالح- رحمهم الله – بنبيهم صلى الله عليه وسلم في حسن الخلق، وامتثلوا ما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه، فكانوا خير الخلائق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال الله عز وجل: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ**﴾ [آل عمران:110]قال الإمام مالك –رحمه الله- "بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا"[58].

قال ابن كثير رحمه الله[59]: "فالصحابة – رضي الله عنهم – خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم"[60].

وجاء بعدهم التابعون لهم بإحسان، فكانوا خير خلف لخير سلف، وتخلقوا بأخلاق الإسلام وتأدبوا بآدابه، فكانوا يدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها، وكل ما يقولونه، أو يفعلونه من هذا أو غيره، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة.[61]

وقد أثرت عن السلف الصالح رضي الله عنهم سادات الأمة أقوال نافعة مفيدة في بيان الأخلاق الفاضلة، والترغيب بالتخلق بالأخلاق الحسنة الحميدة، والتخلي عن مساوئها، ومن ذلك:

أولا: بيان الأخلاق الفاضلة الحسنة وآثارها الحميدة:

قالت عائشة رضي الله عنها: «مكارم الأخلاق عشرة وقد تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في ولده ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده، ويقسمها الله لمن أحب: صدق الحديث، وصدق البأس، وحفظ اللسان، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وإقراء الضيف، ورأسهن الحياء"[62]

وقال عليّ–رضي الله عنه–:«حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتّوسعة على العيال»[63]

وقال الأشعث بن قيس رضي الله عنه [64] يوما لقومه: «إنما أنا رجل منكم، ليس في فضل عليكم، ولكني أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأقضي حقوقكم، وأحوط حريمكم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن زاد علي فهو خير مني ومن زدت عليه فأنا خير منه. قيل له يا أبا محمد ما يدعوك إلى هذا الكلام؟ قال أحضهم على مكارم الأخلاق"[65].

وقال الحسن البصري –رحمه الله–[66]: «حسن الخلق بسط الوجه وبذل النّدى وكفّ الأذى»[67]

وقال أيضا: "معالي الأخلاق للمؤمن: قوة في لين، وحزم في دين، وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في كرم، وبر في استقامة"[68].

وقال الإمام أحمد– رحمه الله–:«حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد»[69]

وقال الماورديّ– رحمه الله–:[70] «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلّ معادوه، فتسهّلت عليه الأمور الصّعاب، ولانت له القلوب الغضاب» [71]

وقال ابن القيّم– رحمه الله–: «جمع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين تقوى الله وحسن الخلق، لأنّ تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربّه وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبّة الله وحسن الخلق يدعو النّاس إلى محبّته»[72]

ثانيا: الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة الحميدة، والتخلي عن مساوئها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حسب المرء دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله».[73]

وقال رضي الله عنه أيضا: «خالطوا الناس بالأخلاق»[74]

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك جهنم وهو عابد»[75]

وقال الأحنف بن قيس– رحمه الله [76]–: «ألا أخبركم بأدوأ الدّاء؟ قالوا: بلى. قال: الخلق الدّنيّ، واللّسان البذيّ)[77]

وقال عروة ابن الزبير رحمه الله تعالى[78]:«مكتوب في الحكمة، بني لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسيطا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء» [79]

وقال سلمة بن دينار– رحمه الله–[80]:«السّيّء الخلق أشقى النّاس به نفسه، ثمّ زوجته، ثمّ ولده، حتّى إنّه ليدخل بيته وإنّهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون عنه فرقا منه، وحتّى إنّ دابّته لتحيد ممّا يرميها بالحجارة، وإنّ كلبه ليراه فينزو على الجدار، وحتّى إنّ قطّه ليفرّ منه»[81] .

وقال الفضيل بن عياض: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحبّ إليّ من أن يصحبني عابد سيّء الخلق»[82]

وقال يحيى بن معاذ– رحمه الله [83]–: «سوء الخلق سيّئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تضرّ معها كثرة السّيّئات»[84]

وقال قتادة رحمه الله[85] في قول الله تعالى:﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**﴾[النحل:90] «إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها»[86]

ثالثا: الحث على بعض الأخلاق الحسنة الحميدة، كفعل الخير والمعروف وحسن العشرة، وإحسان الظن بالناس، والتزام الصدق والأمانة، وترك الكذب والخيانة:

قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: «أصدق الصّدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة»[87]

وقال عمر رضي الله عنه: «لا تغرني صلاة امرئ ولا صومه، من شاء صام، ومن شاء صلى، لا دين لمن لا أمانة له»[88]

وقال أبي هريرة رضي الله عنه: «أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة فسلوها الله»[89]

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إن المعروف ليجزى به ولد الولد»[90]

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «لا أمل ثوبي ما وسعني، ولا أمل زوجتي ما أحسنت عشرتي، ولا أمل دابتي ما حملتني، إن الملال من سيئ الأخلاق». [91]

وقال سعيد بن المسيَّب رحمه الله[92]: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله: "أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنَّن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملًا "[93]

وقال يحي بن معاذ الرازي رحمه الله: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه» (94)

ولابن القيم – رحمه الله– كلام دقيق جامع في بيان حسن الخلق وآثاره الحميدة، ومساوئ الأخلاق، يجمع كل ما تقدم عن السلف الصالح– رحمهم الله– في هذا المبحث فأحببت أن أنقله لنفاسته حيث يقول – رحمه الله–: «حسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء. وهو رأس كل خير. وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيظ والحلم. فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب»(95) وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة. وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس.

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة.

ومنشأ جميع الأخلاق السافلة، وبناؤها على أربعة أركان: الجهل. والظلم. والشهوة. والغضب.

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن. والكمال نقصا والنقص كمالا.

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه. فيغضب في موضع الرضا. ويرضى في موضع الغضب. ويجهل في موضع الأناة. ويبخل في موضع البذل. ويبذل في موضع البخل. ويحجم في موضع الإقدام. ويقدم في موضع الإحجام. ويلين في موضع الشدة. ويشتد في موضع اللين. ويتواضع في موضع العزة. ويتكبر في موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل، وعدم العفة والنهمة والجشع، والذل والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفه.

ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق: أخلاق مذمومة.

وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النفس في الضعف، وإفراطها في القوة. فيتولد من إفراطها في الضعف: المهانة والبخل، والخسة واللؤم، والذل والحرص، والشح وسفساف الأمور والأخلاق.

ويتولد من إفراطها في القوة: الظلم والغضب والحدة، والفحش والطيش.

ويتولد من تزوج أحد الخلقين بالآخر أولاد غية كثيرون. فإن النفس قد تجمع قوة وضعفا. فيكون صاحبها أجبر الناس إذا قدر، وأذلهم إذا قهر، ظالما عنوفا جبارا. فإذا قهر صار أذل من امرأة: جبانا عن القوي، جريئا على الضعيف.

فالأخلاق الذميمة: يولد بعضها بعضا، كما أن الأخلاق الحميدة: يولد بعضها بعضا».[96]

نتائج البحث:

1- من أهم ما يحقق سعادة المجتمع بعد الإيمان بالله عز وجل نشر الأخلاق الحميدة الفاضلة.

2- الخلق الحسن هو: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

3- رغب الإسلام في الأخلاق الحميدة حيث جعل خيري الدنيا والاخرة في الاتصاف بها، وترك مساوئها، وجعل إتمام مكارم الأخلاق من أهداف البعثة المحمدية.

4- الأخلاق الإسلامية متكاملة وشاملة لجميع شؤون الحياة، ومستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. وبالله التوفيق.

الهوامش

([1]) هذه خطبة الحاجة، وتشرع بين يدي كل حاجة، أخرجها مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح 868) وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس(ح 1099) وغيرهما.

([2]) رواه الإمام أحمد في مسنده، (42/ 153) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (519) وانظر: موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين (12/ 2/ 135)

([3]) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم...رقم (25)

([4]) رواه الطبراني في مسند الشاميين (3/ 209) وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، (ص: 81) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (1/ 545) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته(1/ 461)

([5]) انظر: سوء الخلق، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد (75- 78) وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (ص: 42- 44)

([6]) انظر: الرياض الناضرة لابن سعدي (ص 68).

([7]) رواه الإمام أحمد في مسنده (11/ 347) والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، برقم (2018) وابن حبان في صحيحه (2/ 235) وغيرهم، وحسنه الترمذي، كما حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 419).

([8]) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، برقم (6035) ومسلم في كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب في حيائه صلى الله عليه وسلم، برقم (2321).

([9]) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم (4799) والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم (2002) وابن حبان في صحيحه (12/ 506). وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (5628).

([10]) رواه الإمام أحمد في مسنده (36/ 381) والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 244) والترمذي في كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، برقم (1987) وغيرهم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (97).

([11]) لسان العرب (115/13-114)

([12]) لسان العرب (86/10-87.) وانظر: معجم مقاييس اللغة (213/2 -214.) ومفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ص297).

([13]) هو: علي بن محمد بن على الجرجاني، الحسيني، الحنفي، ويعرف بالسيد الشريف. (أبو الحسن) عالم مشارك في أنواع العلوم، ولد بجرجان سنة (740 هـ). وتوفي بشراز سنة (816 هـ) من أشهر تصانيفه التعريفات. انظر: هدية العارفين (1/ 728 - 729) ومعجم المؤلفين (5/ 512).

([14]) التعريفات للجرجاني، (ص101).

([15]) هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني المعروف بالجاحظ، أبو عثمان البصري المعتزلي. متبحر ذو فنون، وصاحب تصانيف، وكان ماجناً قليل الدين، له نوادر، وهو صاحب الطريقة الجاحظية من المعتزلة. توفي سنة 255 هـ . انظر: سير أعلام النبلاء 11526-530 . و وفيات الأعيان (470/3)

([16]) تهذيب الأخلاق للجاحظ، (ص 12) وانظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، (ص: 41)

([17]) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب تفسير البر والإثم، برقم: (2553).

([18]) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (2 / 568) وانظر: مدارج السالكين (2/ 294)

([19]) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (2/ 294)

([20])هو: عياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل، اليحصبي السبتي، المالكي، أحد الأعلام، من مؤلفاته: إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، توفي سنة (544هـ) انظر: الديباج المذهب (46/2 – 51) وسير أعلام النبلاء (212/20)

([21]) شرح مسلم، (15/ 78، 79).

([22]) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، المعروف بابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام، بحر العلوم العقلية والنقلية، توفي سنة 728 هـ انظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لابن عبد الهادي (ص: 18 وما بعدها) والبداية والنهاية (14/144-135).

([23]) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (658/10)

([24]) رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) (14/ 513) والبخاري في الأدب المفرد (ص 104) وابن سعد في الطبقات (192/1) وغيرهم. وحسن الألباني إسناده، في السلسلة الصحيحة (75/1).

([25]) تفسير السعدي (ص: 74)

([26]) انظر: تفسير الطبري (13/ 330)

([27]) انظر: مدارج السالكين (2/ 289- 292)

([28]) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، برقم: (746)

([29]) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب تفسير البر والإثم، برقم: (2553).

([30]) رواه الطبراني في المعجم الصغير، (1/ 362) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 266)

([31]) رواه الإمام أحمد في مسنده (7/ 53) وابن حبان في صحيحه (2/ 216) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 509)

([32]) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب الألد الخصم، وهو الدائم في الخصومة (ح 7188).

([33]) سبق تخريجه.

([34]) رواه مسلم في كتاب الآدب، باب من تركه الناس اتقاء فحشه، (ح 2591)

([35]) هو: يحي بن شرف بن حسين محي الدين الحزامي النووي الدمشقي، صاحب المؤلفات النافعة، كالمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ورياض الصالحين، وتوفي سنة(677هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي (395/8) والأعلام (149/8)

([36]) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (16/ 111).

([37]) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، صاحب التصانيف الكثيرة القيمة النافعة، كزاد المعاد، وإعلام الموقعين، ومدارج السالكين، وغيرها، توفي سنة(751هـ). انظر الدرر الكامنة (400/3) وشذرات الذهب (168/6).

([38]) مدارج السالكين (2/ 292)

([39]) رواه الامام أحمد في المسند (12/ 364) وأبو داود في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (ح 4684) والترمذي في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (ح 1162) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن حبان في صحيحه (2/ 227) والحاكم في المستدرك (1/ 3) وقال: هذا حديث صحيح، وحسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (ح 284)

([40]) سبق تخريجه.

([41]) رواه الإمام أحمد في مسنده (36/ 381) والبيهقي في شعب الإيمان، (6/ 244) والترمذي في كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، برقم (1987) وغيرهم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (97).

([42])سبق تخريجه.

([43]) سبق تخريجه.

([44]) رواه الطبراني في الكبير (182/1) والحاكم في المستدرك على الصحيحين (4/ 443) وصححه الألباني في صحيح الجامع، (1/ 97).

([45]) رواه الإمام أحمد في مسنده (41/ 470) وأبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم (4798)، والطبراني في الأوسط (6/ 236) وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1620).

([46]) رواه الإمام أحمد في مسنده (13/ 287) والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم (2004) وصححه، وابن حبان في صحيحه (2/ 224) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (2642).

([47]) سبق تخريجه.

([48]) رواه أبو داود، في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، برقم (4800)، والطبراني في الكبير (8/ 98)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 420) (21176) وصحح ابن القيم إسناده في مدارج السالكين (2/ 293) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2648).

([49]) رواه الإمام أحمد في مسنده (20/ 29) والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (2627) وابن حبان في صحيحه (2/ 264) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2/ 90)

([50]) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (2/ 313)

([51]) رواه مسلم في كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب في أخلاقه صلى الله عليه وسلم (ح 2310).

([52]) رواه مسلم في كتاب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، باب في أخلاقه صلى الله عليه وسلم (ح 2309).

([53])سبق تخريجه. وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، تأليف: عبد الرحمن حبنكة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة: 1999م (1/ 37).

([54]) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، برقم: (746)

([55]) تفسير السعدي (ص: 879) وانظر: الشمائل المحمدية للترمذي (ص186و262 و280، 283) والأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي، (1 /161و358)

([56]) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي، الحافظ، من مؤلفاته: شرح البخاري بلغ فيه إلى كتاب الجنائز، وله شرح على الترمذي، وكتاب جامع العلوم والحكم، وذيل على كتاب طبقات الحنابلة، وغير ذلك، مات في رجب سنة (795 هـ) انظر: البدر الطالع (1 / 258)

([57]) جامع العلوم والحكم (148).

([58]) تفسير ابن كثير (7/ 362)

([59]) هو: إسماعيل بن كثير البصري الدمشقي أبو الفداء الحافظ المؤرخ الفقيه المفسر ولد في بصرى في الشام وانتقل مع أخيه إلى دمشق وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية والمزي والذهبي، من مؤلفاته: البداية والنهاية وتفسير القرآن العظيم وغيرها. توفي سنة (774). انظر: الدرر الكامنة (17/1) وطبقات المفسرين للداوودي ص (81-79) .

([60]) تفسير ابن كثير المصدر نفسه (7/ 362)

([61]) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (3/ 158).

([62]) رواه ابن وهب في جامعه (ص: 595) وروي مرفوعا لكن الموقوف على عائشة رضي الله عنها أشبه. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (2/ 153)

([63]) إحياء علوم الدين، (3/ 53)

([64]) هو: الأشعث بن قيس بن معدي الكندي، قدم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سنة عشر في وفد كندة وكان رئيسهم، كان في الجاهلية رئيسا مطاعا في كندة، وكان في الإسلام وجيها في قومه إلا أنه كان ممن ارتد عن الإسلام بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم رجع إلى الإسلام في خلافة أبي بكر -رضي الله عنه-، خرج مع سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- فشهد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند، توفي سنة : 42 هـ، وقيل: 40 هـ انظر: الاستيعاب (1/124-123) والإصابة (1/51-50)

([65]) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 367)

([66]) هو: الحسن بن أبي يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري, ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر – رضي الله عنه – عالم أهل البصرة. من كبار التابعين. توفي سنة (110هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (4/ 563 – 588) وتهذيب التهذيب (2/ 243 – 248).

([67]) إحياء علوم الدين (3/ 52) .

([68]) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 367)

([69]) جامع العلوم والحكم (182) .

([70]) هو: علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، شيخ الشافعية في عصره، وصاحب المصنفات الكثيرة، منها: الحاوي في الفقه، والنكت والعيون في التفسير، اتهم بالاعتزال، ودافع عنه السبكي في طبقات الشافعية، ولي القضاء في بلاد كثيرة، وكان أديبا، مات سنة (450هـ) عن عمر بلغ(86) سنة. انظر: طبقات الشافعية (3/ 303 – 314) والبداية والنهاية (12/ 80).

([71]) أدب الدنيا والدين (236) .

([72]) الفوائد (75) .

([73]) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (8/ 488) والدارقطني في السنن (3/ 304)

([74]) مداراة الناس (ص: 37)

([75]) روي مرفوعا عند الطبراني في المعجم الكبير (1/ 233) والخرائطي في مكارم الأخلاق (1/ 76) والضياء المقدسي في المختارة (68/ 2) لكنه لا يصح. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (7/ 29)

([76])هو: الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، التميمي، أبو بحر البصري، والأحنف لقبه، واسمه الضحاك وقيل صخر أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، معروف بحلمه وعقله وشرفه، مجمع على ثقته. توفي سنة (67هـ) وقيل بعدها. انظر: تهذيب الكمال (2/ 283) و تهذيب التهذيب (1/ 167)

([77]) أدب الدنيا والدين، للماوردي (236) .

([78]) هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة. مات سنة (94هـ) على الصحيح. انظر: تهذيب الكمال(20 /11) وتقريب التهذيب(2 /168).

([79]) الزهد والرقائق لابن المبارك (1/ 373) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 178).

([80]) هو: سلمة بن دينار الأعرج، المخزومي, أبو حازم, عالم المدينة وقاضيها, كان عابدا زاهدا ثقة ثبتا فقيها توفي رحمه الله في خلافة أبي جعفر المنصور بعد سنة (140) انظر: تهذيب التهذيب (4/130-129) وسير أعلام النبلاء (6/103-96).

([81]) مساوئ الأخلاق، (26) وقال محققه: أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء(6/ 99) عن أبي حازم.

([82]) إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 52) .

([83]) هو: أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي، الواعظ الزاهد، من أهل الري، أقام ببلخ ومات في نيسابور، له كلام جيد ومواعظ مشهورة، توفي سنة 205هـ، وقيل:208هـ، انظر: وفيات الأعيان (165/6)، وسير أعلام النبلاء (15/13).

([84]) المصدر السابق (3/ 57) .

([85]) هو: قتادة بن دِعامة بن قتادة السدوسي البصري، الحافظ المفسر، من أجلة التابعين وفقهائهم، مات سنة (117هـ، وقيل 118هـ) انظر تهذيب التهذيب (315/8)

([86]) تفسير الطبري (14/ 337)

([87]) روى نحوه البيهقي في السنن الكبرى (13009).

([88]) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: 69)

([89]) المصدر السابق (178).

([90]) المصدر السابق (ص: 50)

([91]) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (46/ 183)، وسير أعلام النبلاء (3/ 57)

([92]) هو: سعيد بن المسيِّب بن حزن، أبو محمد القرشي المخزومي، إمام التابعين، وعالم أهل المدينة، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، مات سنة 107هـ، وقيل غير ذلك: 108هـ، انظر: وفيات الأعيان (375/2) وسير أعلام النبلاء (257/4-217).

([93]) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار لابن عبد البر (291/8)

([94]) جامع العلوم والحكم، (336) .

([95]) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (ح5649) .

([96]) مدارج السالكين لابن القيم (2/ 294 -297)